خطبة صلاة الجمعة 8/10/2021 للشَّيخ الطَّبيب محمّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (لماذا هذه السّلسلة؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار: «**مَكَارِمِ الأخلاق**».

مع مطلع شهر ربيع الأول؛ شهر ولادة سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، نبدأ سلسلةً جديدةً من الخطب، تناسب الزمان والاحتياج، عنوانها: (**أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكيف نتحلّى بها**).

وعنوان خطبة اليوم: **لماذا هذه السّلسلة؟**

**أيها الإخوة:**

الخُلُق لغةً: هو الطّبع والسّجية، وهو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب)

والخُلق اصطلاحًا: هو "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر". (الإحياء)

قال الجاحظ: (والخُلق قد يكون في بعض الناس غريزةً وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد).

قال الغزاليّ في الإحياء: (إن كانتْ الأفعال التي تصدر عن تلك الهيئة جميلةً محمودةً عقلاً وشرعاً، سُميتْ تلك الهيئة خلُقاً حسناً، وإن كانتْ الأفعال قبيحةً، سُميتْ الهيئة التي هي المصدر خلُقاً سيّئاً).

والحاصل أنّ: الأخلاق أوصاف الإنسان الباطنةُ التي يتعامل بها، وهي محمودة ومذمومة، وهي فطرية ومكتسبة.

تأتي سلسلة أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكيف نتحلّى بها؛ لأسباب خمسة:

**أولها: لأنّ الله تعالى أمرنا بمعرفة الرّسول والتأسّي به.**

أمرنا أن نعرفَ أخلاقه وشمائله، نعرفَ أقواله وأعماله، نعرفَ أوامره ونواهيه، نعرفَ سيرته وتقريراته، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [المؤمنون: 69]، وحاصل هذه المعرفة التأسّي والاقتداء والاتّباع ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النبيّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]. فإذا عرفناه وتبعناه صَحّتْ نسبتُنا إليه ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: 36].

فمن أجل معرفة أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والتخلّق بها استجابةً لأمر الله تعالى جاءتْ هذه السّلسلة.

**ثانيها: لأنّ أخلاقه صلّى الله عليه وسلّم أكملُ الأخلاق وأجملُها وأسهلُها.**

فالتأسّي بها ميسَّر، والاقتداء بها مُقَرَّر، والملازم لها منوّر.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: جاءتْ عجوز إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو عندي، فقال: لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **«من أنتِ؟»** قالتْ: أنا جَثَّامة المزَنِيَّة، فقال: **«بل أنتِ حسَّانة المزنية، كيف أنتُم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتُم بعدنا؟»** قالتْ: بخير بأبي أنتَ وأمّي يا رسول الله، فلما خرجتْ قلتُ: يا رسول الله، تُقبِل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: **«إنّها كانتْ تأتينا زمن خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان»** (الحاكم)

**إنه الوفاء الجميل**

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رجلاً -أو امرأةً -كان يَقُمُّ المسجد، فماتَ ولم يعلم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بموته، فذكره ذات يوم، فقال: «**ما فعل ذلك الإنسان؟**»، قالوا: مات يا رسول الله، قال: «**أفلا آذنتموني!**»، فقالوا: إنه كان كذا وكذا – قصته- قال: فصغّروا أمره، قال: «**فدُلّوني على قبره**»، فأتى قبره، فصلّى عليه). (البخاري)

**إنّها الرّحمة بالمساكين**

يقول الدكتور محمّد محمّد أبو شهبة: (نحن لا ننكر أنّ في تاريخ البشرية أُناساً فُضَلاء ذوي أخلاق ودين، ... ورجالاً أوفياء أمناء لا يغدرون ولا يخونون؛ وسادةً قادة، وساسةً عباقرة، وقوّاداً شجعاناً، وأبطالاً لا يرهبون الموت، وأنّ البشريّة لا تخلو في أي عصر من أمثال هؤلاء.

ولكن الذي نلاحظه أنه لا يوجد رجل اجتمعتْ فيه كلّ هذه الصفات والمميّزات مثل ما اجتمعتْ في نبيّنا محمّد!

ولا نكاد نعرف أحداً كمّله الله بكلّ فضيلة، ونزّهه عن كلّ رذيلة، مثل ما عرفنا ذلك لرسولنا محمّد صلوات الله وسلامه عليه.

وليس العجب من اجتماع هذه الصّفات فيه وحسب، وإنّما العجب حقاً أنّها فيه على سواء، فلا صفةٌ تطغى على أخرى حتى تكادَ تطمِسُها، ولا خلُقٌ يربو على آخر حتى يكادَ يخفي معالمه، وإنما هي صفاتٌ وُزِنتْ بميزان عادل لا يعول، وأخلاقٌ حُسِبتْ بحسبان دقيق لا يضلّ،

هداية في حكمة، وعِلم في فقه، ورحمة في غير ضعف، وعدل في غير عنف، وحزم في حِلم، وصرامة في رحمة، وغضبٌ لله في غير جَور ولا بطش، وكرم في غير إسراف، ودقّة في غير فُسُولة؛ ورأفة في غير تفريط، وعقل كبير في سعة قلب، وجِدّ في غير هزل، ومزح في غير باطل، وفصاحة في بلاغة، وكَلِم جوامع في حِكَم نوابغ، ورجولة في مروءة، وفحولة في عفّة.

وهذا المعنى لا نجده في بشر أيّاً كان، وهذا هو سرّ الإعجاز في أخلاق هذا النبيّ العظيم، وهذا البشر العظيم!!)

فأخلاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كاملة وجميلة وسهلة، التأسّي بها ميسَّر، والاقتداء بها مقرَّر، والملازِم لذلك منوَّر.

**ثالثها: لأنّ كثيراً من مفرزات الأزمة التي نعيشها مصدرها أخلاقي.**

فصحيحٌ أن أعداء هذا البلد تداعَوا عليه، ولكنّ بعض أبنائه أساؤوا إليه.

أساؤوا عندما خان شريكٌ شريكَه مستغلّاً الأزمة، وعندما باع رجل العقارَ نفسه أو السيارةَ نفسها مرّات ومرّات مستغلّاً الأزمة، وعندما طلبتْ زوجة الطلاق لقلّة ذات يد زوجها متذرّعةً بالأزمة، وعندما ساعد قريبٌ الغرباء في خطف قريبه مستغلّاً الأزمة، وعندما ظلم الأخ أخاه فلم يعطِه حظّه من الميراث متذرّعاً بالأزمة، وعندما ترك زوجٌ واجباتِه الأُسْرية وسافر من دون ضرورة متعلّلاً بالأزمة، وعندما احتكر أقوام سِلعاً يحتاجها الناس وغالوا بأسعارها ليفيدوا من الأزمة، وعندما برّر موظف لنفسه الرّشوة مستغلّاً الأزمة، وعندما ماطل مليء بسداد دينه متعلّلاً بالأزمة، وعندما سافرتْ أمّ بأولادها الصّغار لتلحق بأهلها من دون إذن أبيهم مستغلّةً الأزمة.

وكلّ هذه الأمثلة وغيرها سببها ضعف الأخلاق.

متزوج وعنده ثلاثة أولاد، لما نزلتْ الأزمة بالبلد فقَد عمله وداره، وانتقل مع أسرته للسُكنى في بيت أهل زوجته يستضيفونهم إلى أن يأذن الله لهم بفرج، ولما سافر مَن سافر طلب من زوجته أن تبيع له بعض مصاغها الذهبي لتعينه على السفر إلى بلد أوربيّ ليعمل هناك ثمّ يرسل لها ولأولاده ليلحقوا به، ففعلتْ،

ومرّتْ سنة وسنة وسنة ولايزال يَعِدُها ويُمنّيها، ولا يلتزم بشيء من واجباته نحوها ونحو أولاده إلى أن علمتْ مؤخراً أنه تزوّج هناك وأنّه غير عازم على العود ولا على إلحاقهم به، وأنّها إن أرادتْ طلاقاً فبإمكانها إبراؤه من جميع حقوقها ليوكِل من يُجري معاملة الخُلع.

إنّ كثيراً من مفرزات الأزمة مصدرها أخلاقيّ، فالحديث عن أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكيف التحلّي بها ضرورةٌ تذكّر النّاسي وتعين الذّاكر، والمأمول أن تساعد في التخلّق بهذه الأخلاق قدر المستطاع، الأمر الذي يساعد في تخفيف وطأة الأزمة عن الجميع.

**رابعها: لأنّني أحمل مشروعين اثنين –كما تعلمون– لمدة خمسَ عشرةَ سنة، أحدهما تعزيز الأخلاق في علاقاتنا الأسرية والثاني تعزيز الأخلاق في معاملاتنا المالية،**

وأخطب في كلّ عام عن أحدهما أو عمّا يشملهما،

فقد كانتْ سلسلة الأسرة والتربية، وسلسلة تربية الأبناء، وسلسلة هموم الشباب، وغيرها تتحدث عن المشروع الأول.

وكانتْ سلسلة أسواقنا التجارية، وسلسلة مهنتي، وسلسلة كيف تنشئ مشروعاً خيرياً، وغيرها تتحدثْ عن المشروع الثاني.

وكانتْ سلسلة توعية، وسلسلة دليل إرشادي، وسلسلة أخطاء شائعة، وغيرها تتحدث عن المشروعين؛

وهذه السّلسلة تتحدث أيضاً في المشروعين، إذ لا غنى للمرء عن الأخلاق في بيته وسوقه وفي سائر شؤونه.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيتْ  فإن هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

**خامسها: لأنّ وزارة الأوقاف أطلقتْ مشروعاً عنوانه: (الدّين حُسن الخلُق) ندبتْ فيه الخطباء والمدرّسين إلى الحديث عن القيم والفضيلة والأخلاق.**

فتأتي هذه السّلسلة استجابةً لهذا النداء.

**أيها الإخوة:**

في شهر ربيع أكثروا من الصّلاة والسلام على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه من صلّى عليه صلّى عليه، ومن سلّم عليه سلّم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلّى الله عليه وسلّم وأخلاقه، وسنّته وسيرته، ليكون النبيّ حاضراً فينا وتكون سنّته ماثلة بيننا.

لهذة الخمسة تأتي سلسلة أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكيف نتحلّى بها:

- لأنّ الله تعالى أمرنا بمعرفة الرّسول والتأسّي به.
- لأنّ أخلاقه صلّى الله عليه وسلّم أكملُ الأخلاق وأجملُها وأسهلُها.
- لأنّ كثيراً من مفرزاتِ الأزمة التي نعيشها مصدرها أخلاقيّ.
- لأنّني أحمل مشروعين اثنين –كما تعلمون– لمدة خمسَ عشرةَ سنة، وأخطب في كل عام عن أحدهما أو عمّا يشملهما.
- لأنّ وزارة الأوقاف أطلقتْ مشروعاً عنوانه: (الدّين حسن الخلق).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبيّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسلّموا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين